٦ / تنشئة جيل أفضل :

إنطباعات حول منحنى هيرشتين وميرى

- حماية الأجوانة من الانقراض
- منحنى بيل وأهميته
- ردود الأفعال تجاه المنحنى

حماية الإجوانة من الانقراض

فى سبتمبر عام ١٩٩٥ نشرت فى «لوس انجلوس تايمز» قصة تحت عنوان : «حديقة حيوان سان ديجو تأتى للمساعدة فى إعادة الإجوانة» . وإلى هنا تبدو حكاية عادية . مستعمرة الإجوانة الموجودة على شاطئ الساحل الأمريكى ، وتستخدم جلود هذه السحلية فى شتى أرجاء العالم ، ولذلك تعد من أكثر الكائنات الحية المعرضة للانقراض . وهذا هو بيت القصيد ، الذى أتى من أجله العلماء من مركز التكاثر الخاص بمشكلة الانقراض فى حديقة حيوان سان ديجو ، والذى أسسته المؤسسة القومية العلمية ، وتكلف ملايين الدولارات ، وتم بناؤه فى سنوات عديدة . وتركزت أبحاث العلماء لتحقيق هدفين : الأول هو انقاذ الإجوانة من خطر الانقراض وحمايتها من خطر الاستخدامات المدنية ، والثانى كان دراسة طريقة التزاوج لديها .

وقد وجدوا أن ذكور الإجوانة لها ميل للاحتفاظ بعدد من الإناث ، ثم الدفاع عن حقهم فى الاحتفاظ بهن بوحشية وضراوة ضد الذكور الأقل قوة ؛ فيقل عددهم . ومع صيد أعداد كبيرة منها لاستغلال جلودها ، أصبحت تواجه خطر الإنقراض ، ولإيقاف ذلك التدمير وعلاج الحيوانات المتبقية ، بدأ العلماء برنامجهم المسمى «بدء الرأس» . ويتضمن هذا المشروع – كما وصفته المقالة المنشورة فى لوس أنجلوس تايمز – إبعاد ذكور الإجوانة لمدة ٦ أسابيع وحفظهم ؛ ليصبحوا قادرين بعدها على التزاوج . كما شمل البرنامج أيضاً البحث عن بعض الإجوانة لإعدادها للفقس فى حديقة الحيوان بتطبيق سلوكها المدروس لإنجاح هذه العملية ، ثم إعادتها إلى المستعمرة الأصلية التى يعيشون فيها بعد ١٨ شهراً .

نجحت ٤٥ رأساً من صغار هذه الحيوانات فى أن تنقب البيض ، وتبدأ رأسها فى الخروج ، وتحت رعاية المختصين ، نمت بقوة مقارنة بمثيلاتها فى المستعمرة الأصلية وأثار ذلك تساؤل المشرفين عليهم : هل هذا التطور والنمو السريع المبدأ سيستمر ، أم أنها فترة مؤقتة ، وسرعان ما يتناقص بعد إعادتهم لموطنهم الأصلى ؟ وانقسمت الآراء فقد اقتنع البعض بأن الإجوانة تكيفت مع الفترة التى احتجزوها فيها بالمزرعة ولن تستطيع التعايش مع الحياة البرية ثانية ، بينما اعتقد آخرون أن الحيوانات أصبحت معتمدة اعتماداً مطلقاً على المسئولين عنها . ولتجنب هاتين المشكلتين أطعموا الحيوانات أعشاباً برية خاصة ، وقللوا من تواجد البشر بجوارهم ..

وهذا المشروع دارت حوله تساؤلات : ماذا يعنى أن تكون هناك مجموعات من المشروعات المحددة بزمن معين واستراتيجية خاصة لعلاج الخلل الوظيفى الموجود فى بعض الحيوانات المهددة بالانقراض ؟ والمشروع الخاص بالإجوانة فى الستينيات ،كان من أضخم هذه الأبحاث وأكثرها شيوعاً . وأهمية هذا المشروع لم تمح بعد تكييف حديقة الحيوان لمؤاءمته ، ولكن فحواه امتدت إلى كيفية تأهيل هذه البرامج وتحديد

أهميتها وكيفية تقدير هذه الأهمية ؛ فقد استخدم هذا المشروع فهم وسائل واحتياجات التزاوج فى الإنسان وغير الإنسان وعمل تصميم مؤقت لمواجهة تلك الاحتياجات ، ولكن كلمتى الإنسان وغير الإنسان أحدثت نقاشاً حاداً ونقداً لاذعاً ، انتشر فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية ؛ حيث ارتبطت بالهجرة وحمل المراهقات وأمومة غير المتزوجات .

منحنى بيل وأهميته

وبمشاركة الميل الثقافى الذى أوجد مثل هذا المشروع ، الذى يهدف إلى إنقاذ السحالى المعرضة للانقراض ، وهو أيضاً يمثل انعكاساً لهذه الانحرافات فى منحنى ريتشارد هيرنشين وتشارلز ميرى عام ١٩٩٤ ، والذى سمى منحنى بالمنحنى الجرس (منحنى جاوس) ومنحنى التوزيع الطبيعى (The Bell Curve) ، واشتمل على ٨٠٠ صفحة . أوضح العالمان فيه ما تحقق (علمياً) ، ويمكن تطبيقه على السلوكيات الموجودة فى المجتمع ، فقد سجلا أن كل شخص يولد بنسبة إدراك معينة تكون نسبة ذكائه (IQ) وأوضحوا أن هناك ميلاً تصاعدياً فى معدلات الذكاء ، وضح فى تسلسل هرمى ، فبدت الولايات المتحدة مصففة فى طبقات ، تمثل مجموعات مقسمة على حسب الثروة والذكاء ، والنجاح والفشل فى الاقتصاد والأمريكى ، بشكل يتفق مع الجينات الموروثة ، ولهذا فإنه من المتوقع ألا يكون هناك جدوى للبرامج التى تشمل الطبقات الدنيا ؛ حيث أن ليس لها تحديد واضح .

فى الجزء العلوى من المنحنى الذى يمثل الأشخاص ذوى القدرات العالية ، كان العدد أقل من الطبقة المتوسطة ، أما الجزء السفلى الذى يمثل المجموعة الفقيرة والأغبياء ، وجدت نسبة الذكاء أعلى فى الأشخاص ذوى البشرة البيضاء ، أكثر مما هى عليه فى المجموعة السوداء . ولذلك وجد الباحثان أن تلك النتائج تنذر بالخطر ، وخاصة مع الأخذ فى الاعتبار ميول الإنجاب فى كل شريحة ؛ لأنها تتناسب عكسياً مع مستوى الذكاء بها . وهكذا سيولد عدد كبير من الأطفال غير المرغوب فيهم ؛ لأنهم سيمتلكون نسبة محدودة من الذكاء ومستواهم الاجتماعى متدنٍ وينحدرون من أصل ملون وينتمون لآباء صغيرى السن ، مما يستوجب إيجاد نوع من الوصاية والاهتمام تجاههم من الأغنياء الموهوبين .

ردود الأفعال تجاه المنحنى

ومنحنى التوزيع الطبيعى (جاوس) كان مصدر إزعاج ومعارضة التكوينات الرأسمالية الحرة والتى تنادى بالحرية والمساواة والعلاقات الاجتماعية الواسعة ؛ مما يؤثر فى المجتمع ويخلق الضعف وعدم المساواة فى الحالة الاجتماعية والاقتصادية . وقد أعطى الباحثان بهذا المنحنى نموذجاً مبسطاً عن المسببات الاجتماعية للتسلسل الهرمى ، وأوضحا أن الحكومة لن تستطيع توفير مساواة للجميع فقواميس الحياة الطبيعية نفسها لا تكفل للجميع فرصة متكافئة . فقد رسم صورة للمجتمع من

خلال نسبة ذكاء أفراده ومدى ربطها بالأمراض ، التى تنشأ فيه والأخطاء الجينية بداخله ، ثم تطرق إلى نظرة المجتمع للمرأة السوداء ، والتى تعتبر مصدراً للتلوث وأيضاً زيادة عددهن تعد خطورة على من حولهن .

ومن هنا يظهر أن السبب الرئيسى الذى أثار الغضب من هذا المنحنى ، والمشكلة الأساسية التى يجب حلها هى الزيادة غير المرغوبة فى نسبة السيدات السوداوات . كما أشاروا إلى أن الخطر الرئيسى يكمن فى الأمهات غير المتزوجات اللاتى أنجبن أطفالاً ؛ لأن ذلك يتسبب فى سلسلة من الجرائم وانتشار المخدرات والفقر والجهل . ذلك المجتمع لابد وأن يسوده اليأس ، الذى يحطم قدرته على أن يحتفظ بنفسه مادياً وخلقياً وثقافياً .

ومن الموضوعات التى لم تقابل بارتياح ، والتى عرضت من خلال ذلك المنحنى أنه لكى يتوفر للمجتمع نسبة ذكاء عالية ويطمح لآمال اقتصادية أكثر أشراقاً ، لابد أن يتزايد معدل إنجاب السيدات الجميلات ذوات الذكاء المرتفع . ولكن يجب التزام الصمت فى هذا الموقع ، لأنه لكى يتحقق ذلك ، لابد أن يكون للحكومة مهندساً اجتماعى ليحدد من الذى يجب أن ينجب ، ومن الذى ليس له أن يفكر فى ذلك . ولا يمكن إيجاد توصيات حكومية تقوم بذلك العمل ، ولكن من الممكن أن يكون هناك تشجيع للسيدات ذوات الذكاء المرتفع على الإكثار من الإنجاب .

وحالياً تقوم سياسة الخصوبة فى أمريكا على دعم مواليد السيدات الفقيرات (اللاتى يمتلكن أقل نسبة ذكاء) . وهناك حث على إيقاف تلك المساعدات للفقراء والأغنياء على حد سواء ، ولابد أن يشمل أى برنامج حكومى تسهيل استخدام وسائل منع الحمل ، وهى منتشرة وسهلة وآمنة ولا تسبب أضراراً . لذلك عملت الحكومة برنامجاً للفقيرات ، يشمل زرع ٥ كبسولات (نوربلاست) فى الذراع لمنع الحمل مدة ٥ سنوات ، كطريقة طبية آمنة ومتاحة وسهلة الاستخدام وقانونية ، وقد قامت ٣ ولايات بدراسة إعطاء مميزات اجتماعية لمستخدمات هذه الوسيلة ، وتقوم السيدات بتركيبها مجاناً ، ولكن نزعها لا يكون مجانياً – إلا إذا كانت هناك ضرورة طبية لذلك ، وقد شرع استخدام تلك الوسيلة ، فقد اعتبرت المحكمة أنها الأكثر فعالية ، وبخاصة السيدات اللاتى يدمن العقاقير المخدرة أو اللاتى يحكمهن العنف ، حتى لو أتيحت لهن فى صورة إعانة اجتماعية لحماية أى طفل يمكن ولادته فى مثل تلك الظروف الاجتماعية الصعبة .

وفى منحنى هيرشتين – ميرى ، كانت السيدات الحوامل غير المتزوجات يمثلن مشكلة فى حصرهن لأنهن يعتبرن خارج القانون ، ولهذا السبب أيضاً لا تقدم لهن معونات منع الحمل أو المعونات الاجتماعية ، كوسيلة للحفاظ على القيم ، ومنعها

من الانحدار ، وطالبوا بتشجيع الزواج بمنع المساعدات الاجتماعية للآباء غير المتزوجين رسمياً . وفى سنوات سابقة كانت المحكمة تعتبر أن الأطفال المولودين لآباء غير متزوجين دليلاً على الانحراف الخلقى وعدم التمييز العقلى وانتهاكاً للقانون ، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى الخمسينيات قلت حدة وجهة النظر تجاه هؤلاء الأمهات .

واهتم هيرشتين – ميرى بالتبنى حيث إنهم وجدوا أن المجتمع الأبيض يعانى من وجود الأبناء غير الشرعيين مثل المجتمع الأسود ، وهكذا فتح ما يشبه «سوق المواليد» baby market . وهكذا دافعوا عن التبنى محاولين إضفاء الشرعية على حياة هؤلاء المواليد ، ونقلهم من بيئة فقيرة إلى بيئة ومكانة أرقى ، وإعطائهم فرصة أوسع لاكتساب حياة خلاقة .

والحقيقة أن الحكومة تملك القوة لإجبار الأباء على ترك ابنائهم للتبنى إذا كان هناك سوء معاملة أو إهمال . ولكن التوسع فى استخدام تلك القوة لا يقره إلا وضوح سوء حالة الأطفال ومعاناتهم مع مشاكل الأمهات غير المتزوجات . وهذا يحدث عادة إذا كانت الأم بيضاء ، أما الأم السوداء فلا تميل لترك وليدها لتتبناه أسرة أخرى ، وعادة ما تكون لديها الرغبة فى الاحتفاظ به والقيام بتربيته بنفسها .

واعتبرت السيدات السوداوات ولودات وغير منتجات اجتماعياً ، وسادت فكرة أن الولادات غير الشرعية تعبر عن نقص فى طبيعة الأمومة لديهن أو أحياناً تعد تعبيراً عن العدوانية والعداء تجاه المجتمع . ولكنه ليس من الغريب أن حدث تغيير جذرى فى حياة هؤلاء السيدات ، وأعيد تشكيلها من خلال منحنى هيرشتين وميرى ، فقد استبعدن من مكان التأهيل للأمومة ، واقتصرت تلك الخدمة على السيدات البيضاوات؛ لأن السيدة السوداء تفضل البقاء مع طفلها ، والتأهيل يكون لمن ترغب أن تعود لبداية جديدة فى الحياة والزواج لأن ذلك التأهيل يعيد الاتزان لحياتهن . وهكذا ظلت فكرة توارث الجينات غير الطبيعية فى السيدات السوداوات سائدة ، وخاصة بالنسبة لرغبتهن فى الزواج .

لقد اعتبر التبنى عملاً مفيداً بالنسبة للأطفال المولودين لآباء غير متزوجين ، حيث إن ذلك يعيد للأم التى حملت دون زواج اعتبارها مرة أخرى ، فهى لا تعتبر امرأة كاملة ولا أم حقيقية خارج أسرة تقليدية ، ويعد ذلك الوضع انحرافاً خطيراً ، أما بالنسبة للأمهات السوداوات فلا يعاد تأهيلهن واعتبر ذلك الرفض منهن مشكلة ؛ لأنهن يمثلن أداةً لتوالد غير مرغوب فيه بالنسبة للمجتمع ، ولذلك حفز هيرشتين وميرى استخدام نظام التعقيم المؤقت فى هذه الحالات ، وهذا الحل يبدو مقبولاً لديهما ، بينما يراه البعض خطيراً من الناحية الخلقية .